جامعة قاصدي مرباح ورقلة

مخبر تطوير الممارسات النفسية و التربوية

دراسات نفسية و تربوية

مجلة علمية محكمة فصلية

تصدر عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة

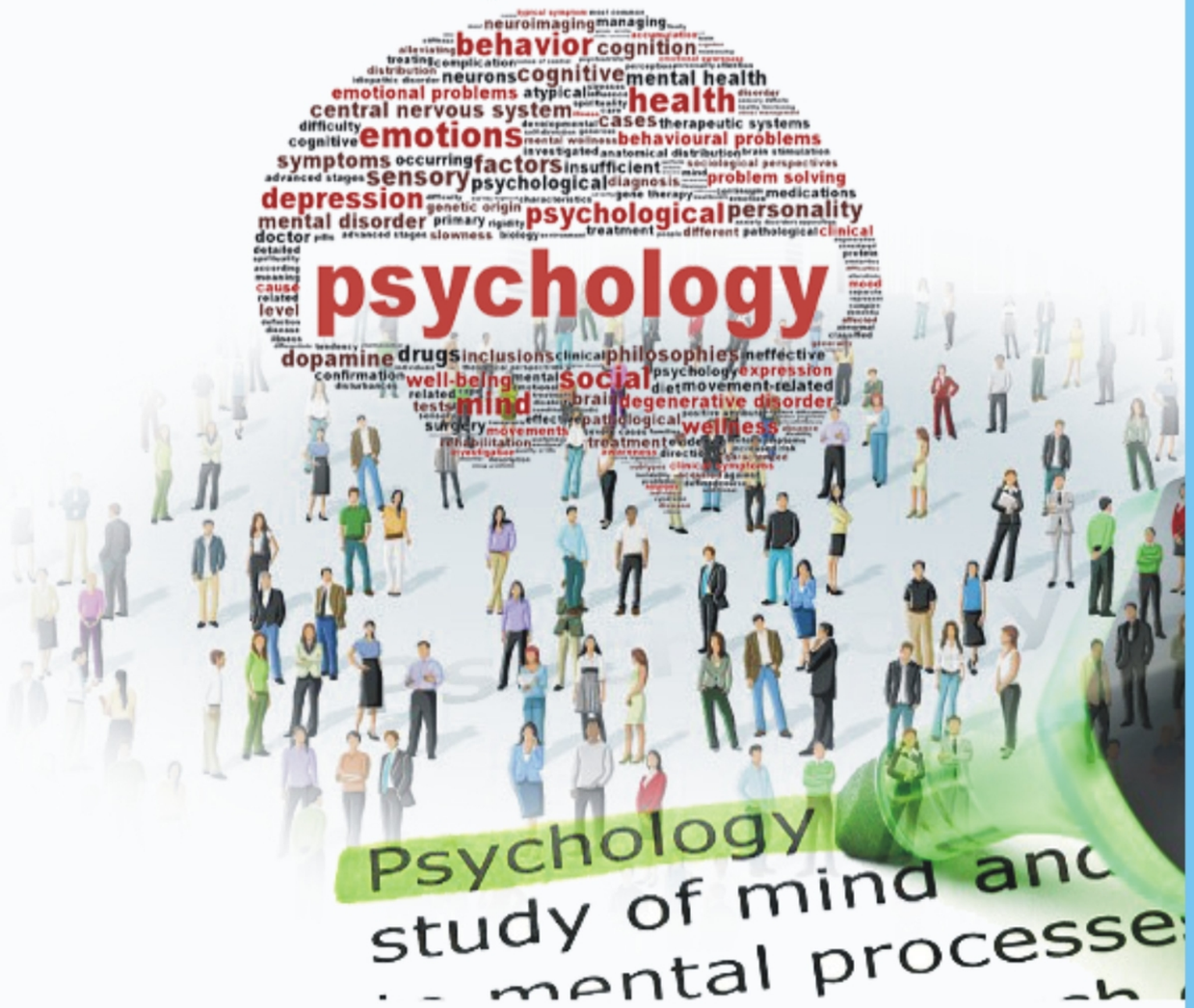

ISSN: 1112-9263, EISSN: 2588-2538

Printer of Kasdi Merbah University Ouargla

University Of Kasdi Merbah Ouargla

Laboratory of developing Psycho-educational Practices

Psychological & Educational Studies

Quarterly Referred **Scientific Review**
University of Kasdi Merbah Ouargla

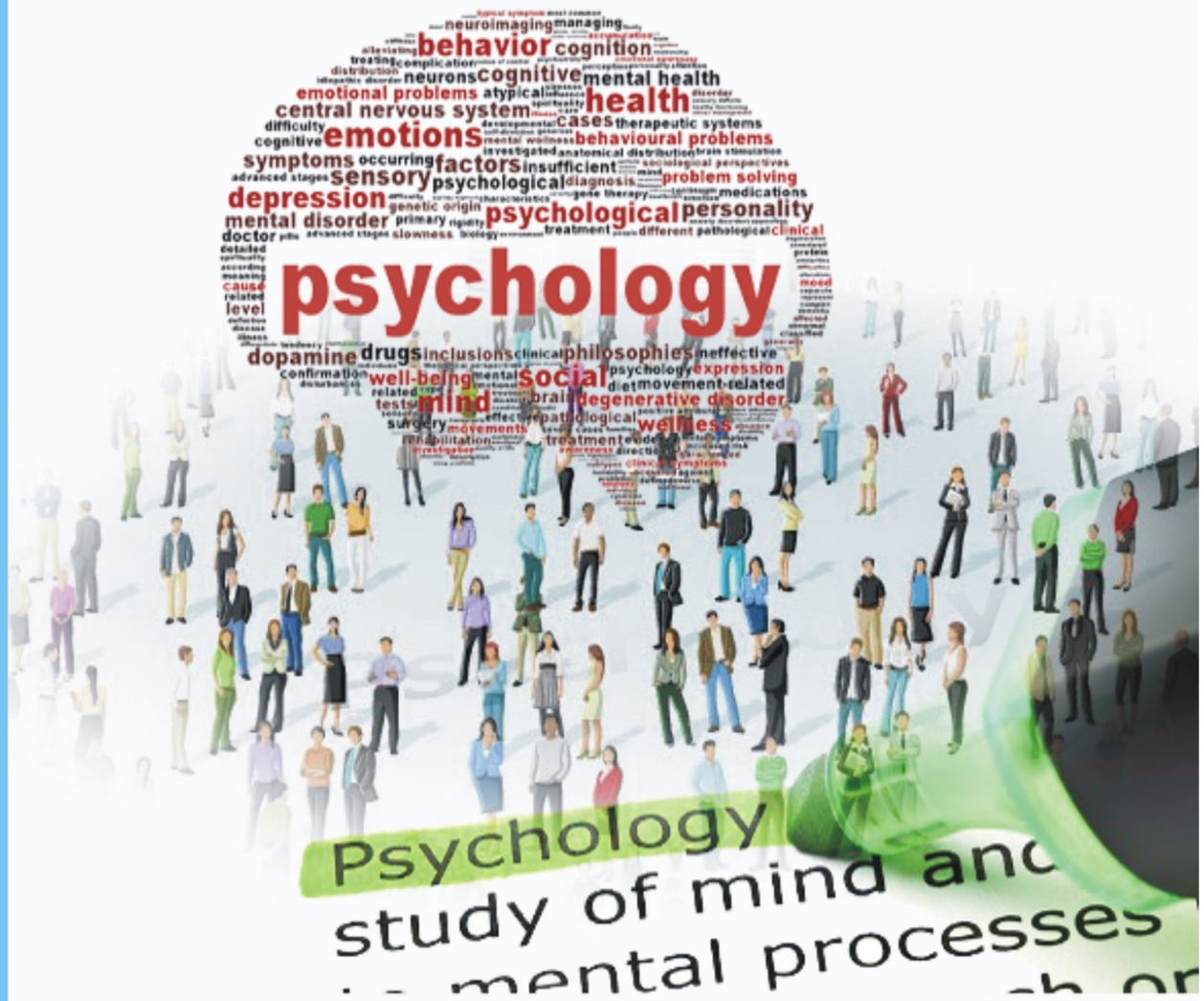

ISSN: 1112-9263, EISSN: 2588-2538 – 2008/2895 إيداع القانوني رقم: المجلد 13/ 2 (عدد خاص) جوان 2020 –

Vol 13,N°2 *(Special number)* June 2020 - Legal deposit N°: 2895/2008-ISSN: 1112-9263,EISSN:2588-2538

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر هيئة تحرير " دراسات نفسية وتربوية " جامعة ورقلة أن تضع بين أيدي قرائها المجلد 13، العدد 2، و هو عدد خاص خصص فقط لمقالات سنة 2018 ، التي تأخر نشرها بسبب العدد الهائل من المقالات التي تنتظر النشر. ويتضمن هذا العدد 19 مقالا علميا متنوعة حسب انتماء الباحثين ولغة البحث والقضايا النفسية والتربوية التي تناولتها هذه الأبحاث

ومواصلة لمسيرة المجلة ووفاء لعهودها والتزاماتها اتجاه القراء، فان هيئة التحرير وكل فريق المجلة حرصوا لان تكون الأبحاث المنشورة في هذا العدد، أبحاثا تربوية ونفسية محكمة تتميز بالدقة والموضوعية والعلمية وفق المعايير الدولية للنشر العلمي ، ودلك لتوفير منبع علمي لكل الطلبة والأساتذة الباحثين للنهل منه، قصد دفع عجلة النشر العلمي على المستوى الوطني والعالمي.

كما لا يفوتنا في هذا المقام توجيه كل التقدير و كل الشكر لكل المحكمين الذين لم يبخلوا لا بأوقاتهم الثمينة و لا بمجهوداتهم لتقييم المقالات المسندة إليهم، و هذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي حرصهم الكبير لخدمة و ترقية البحث العلمي و سهرهم علي توفير العمل المتقن .

وفي الأخير، إن فريق المجلة يهيب بالقراء الكرام زيارة موقع المجلةوإبداء ملاحظاتهم قصد تضافر الجهود لتحقيق رقي المجلة وتطورها لتصبح في مصاف المجلات العلمية الدولية.

المحتويات

قراءة في برامج تدريب المدرسين القائمة على الكفايات بوحفص بن كريمة ، لخضر عواريب	1
العمق اللّغوي للتحليل النّفسي من منظور جاك لاكان خيرة بورنان	12
الكفاءة الذاتية المدركة وعلاقتها بجودة الحياة لدى المراهق مجهول النسب عبد الكريم مأمون ، عقيل بن ساسي	27
التعليم النقال مفهومه، خصائصه، تقنياته، مبررات استخدامه، فوائده التربوية، الصعوبات والتحديات التي تواجهه جغوبي الأخضر	44
الضغط المدرك وعلاقته بحل المشكلة الاجتماعية لدى أعوان الحماية المدنية الجزائرية دراسة وصفية لأعوان الحماية المدنية بمديرية الحماية المدنية لولاية المدية رضوان قوجيل ، فاطمة الزهراء اليازيدي	62
موضعة التحليل العاملي في الاختبارات النفسية والتربوية ابتسام بوراس ، نسيمة جرود	79
الإيقاع الحيوي ودوره في تحقيق السلامة المرورية دراسة ميدانية على عينة من سائقي الأجرة بالشركة الوطنية للتأمين saa _ بولاية مستغانم فلة عليلش	93
فعالية الذات الأكاديمية لدى تلاميذ مرحلتي التعليم المتوسط والثانوي- دراسة استكشافية مقارنة بمدينة ورقلة مريم بوخطة ، ربيعة جعفور	108
القيم التنظيمية وعلاقتها بالفاعلية الذاتية- دراسة ميدانية على عينة من عمال شركة مطاحن التل بالبليدة حداد براهيم ، لخضر جوابي	125
الإصابات الرياضية وعلاقتها بدافعية الإنجاز الرياضي لدى لاعبي كرة القدم – صنف أكابر- مراد بن عمر، عادل خوجة، خالد جوادي	141
أثر التدريس بالأسلوب التبادلي خلال الألعاب الجماعية على تنمية التوافق النفسي لدى تلاميذ الطور الثانوي 15- 16 سنة. إسماعيل بن مصطفى، طارق قدور بن دهمة، أحمد يحياوي	156
جودة الحياة والصلابة النفسية لدى أسر الأطفال المعاقين عقليا حكيم بوعمامة	172
أساليب تحصين ذوي صعوبات التعلم ضد العجز المتعلم دامخي ليلي	194

الأنماط القيادية لدى مديري المستشفيات وعلاقتها بأداء الممرضين دراسة ميدانية لعينة من ممرضيّ المؤسسة لخضر شيبوط ، جمعة أولاد حيمودة ، بشير قويدري	212
الحاجة إلى الإرشاد الأسري لأسر أطفال التوحد حاج امحمد يحي ، بوسعدة قاسم	233
علاقة المشكلات السلوكية للأبناء ببعض المتغيرات ذات الصلة بالأم (د اسة ميدانية على عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية بسيدي بلعباس حرطاني أمينة ،ازيدي كريمة	251
أسباب الضغوط المهنية لدى أساتذة التربية البدينة والرياضية وعلاقتها ببعض الاضطرابات السيكوسوماتية عبد الحفيظ قادري ، محمد مرتات	269
L'enfant entre ; méfaits et bienfaits de la télévision Belbessai Rachid, Soualmia Abderrahmane	292
Parental violence and family's psychological support needs Yaalaoui Khalida	306

العمق اللُّغوي للتحليل النَّفسي من منظور جاك لاكان

خيرة بورنان*

جامعة محمد بوضياف المسيلة

The linguistic depth of psychoanalysis from the perspective of Jacques Lacan

Kheira Bourenane

kheira.bourenane@univ-msila.dz

Mohamed Boudiaf University, Msila, Algeria

تاريخ الاستلام:2018/09/13؛ تاريخ القبول:2019/09/02؛ تاريخ النشر:2020/06/20

ملخص.

هـدف هـذا المقـال ذو الطـابع النّظـري البحـث هـو البحث في أواصر العلاقة بين التحليل النفسي ـ كما قدمه فرويد ـ واللُّغة وذلك من خلال تحليل الأطروحة اللاكانية (نسبة إلى جاك لاكان) التي تعد واحدة من الأطروحات المعاصرة التي حاولت أن تسبر العمق اللغوي للتحليل النفسي قصد تجاوز وتقويض مزاعم التيارات النفسية المحسوبة على التحليل النفسي والتي اختزلت نظريات فرويد في بعد بيولوجي غرائزي صرف متجاهلة الطابع الجوهري للتحليل النفسي ألا وهو اللغة.

الكلمات الدالة. التحليل النفسي؛ فرويد؛ اللغة؛ اللاوعي؛ جاك لاكان;

Abstract.

The aim of this purely theoretical essay is to explore the relationship between psychoanalysis as Freud and language have presented it through the analysis of the Lacanian thesis, which is one of the contemporary theses that attempted to probe the linguistic depth of psychological manipulation in order to transcend and undermine The claims of psychological currents calculated on psychoanalysis, which reduced Freud's theories in a purely biological dimension, disregarding the essential nature of psychological analysis, namely, language.

Keywords. Psychoanalysis; Freud ;The unconscious; language; Jacques Lacan .

*corresponding author

1. مقدمة

يمثل التحليل النّفسي الفرويدي في تاريخ علم النّفس لحظة فارقة بل انقلابية؛ بموجبه أعيد النّظر على نَّحو جذري في كثير من المعتقدات الفكرية السائدة ، من ذلك المفهوم التقليدي عن الإنسان بوصفه الكائن الواعي و العاقل و المسؤول أخلاقيا.وفي مقابل هذا أكدت نظرية التحليل النّفسي أنّ مفهوم الإنسان كما تقدمه فلسفة الأنا و الفلسفة الديكارتية منها على وجه الخصوص، ليس إلاّ وهما من أوهام الذاتيةو أوهام الحداثة، وأنه آن الأوان لإلحاق ثالث الجروح بالنرجسية الإنسانية؛ فبعد الإقرار بأن الأرض ليست مركزا للكون(نظرية كوبرنيك) وأن الإنسان يرتد إلى أصل حيواني(نظرية داروين) بات من الضروري الإقرار بأن الأنا ـ على حد تعبير فرويد ـ لم يعد سيد بيته بعد اكتشاف قارة اللاوعي.

لكن بالقَّدر الّذي جذب للحليل النفسي كثيرا من الأنصار و المؤيدين، بالقَّدر الّذي خلق من الأعداء والمنشقين عنه والمعارضين له. وهكذا تعددت القراءات التي اتخذت من المتن الفرويدي نصا لها والسمة الغالبة على هذا التعدد هو التعارض الذي وصل حد التناقض بينها. ومن بين هذه القراءات نذكر:

- قراءة إتباعفرويد وتلاميذه، و هي قراءة ادعت الأمانة والوفاء في التعامل مع التحليل النفسي الفرويدي، إلا أنها ـ كما سنرى عند لاكان ـ شوهت العمق الفرويدي و أساءت إليه.
- القراءة التي قدمها الفرويديون الجدد أو من يشكلون ما يسمى باليسار الفرويدي، هؤلاء أيضا أخطأوا في نظر لاكان لأنهم انحرفوا عن المسار الفرويدي وحرفوا فرويد.
- القراءة التأويلية لبول ريكور.
- القراءة التفكيكية لجاك دريدا.
- القراءة البنيوية التي يمثلها جاك لاكان الذي نادي بضرورة إعادة قراءة فرويد قصد الكشف عن الجانب المهمل في التحليل النفسي الفرويدي.

ناهيك عن تلك الإصدارات التي تظهر من وقت إلى آخر والتي تشكك في مزاعم فرويد واعتبار أن ما قدمه هذا الأخير لا يمت بصلة إلى العلم بل مجرد ترهات وافتراءات، ويعد الكتاب الأسود للتحليل النفسي / Le Livre noir de la psychanalyseنموذجا عن هذه المؤلفات.

وبعيدا عن هذا الطرح المتشكك ينتصر جاك لاكان لعلمية التحليل النفسي الفرويدي من خلال دعوته إلى ضرورة إعادة قراءة فرويد من أجل الكشف عن الأساس الذي يقوم عليه.

والإشكال المطروح من خلال هذا المقال هو: ما طبيعة الأساس الذي يقوم عليه التحليل النّفسي الفرويدي من منظور جاك لاكان؟ ويندرج ضمن هذا الإشكال مجموعة من التساؤلات من بينها: ما هي الدوافع التي دفعت جاك لاكان إلى إعادة قراءة فرويد؟ و ما هي مآلات هذه القراءة؟ او بمعنى آخر، هل فرويد في نسخته اللاكانية هو فرويد على الحقيقة؟

2.وجه الحاجة إلى إعادة قراءة فرويد

بحسب جاك مار ي أميل لاكانJacques Marie Émile Lacan (1901ـ1981) أن إعادة قراءة فرويد أصبحت ضرورية أكثر من أي وقت مضى لأن فرويد في نسخته الأصلية لم يعد موجودا، لقد وقع تشويهه وتحريفه ولا سبيل لمعرفته معرفة صحيحة إلا بـ« العودة إلى فرويد ـ Le retour à Freud » وهو الشعار الذي حمله لاكان(J.Lacan). وكان قصده من ذلك تصحيح الانحراف الحاصل في الأوساط التحليلية في تأويل نظريات فرويد. إضافة إلى ذلك أراد أن يعطي للتحليل النفسي بعدا جديدا يعمق الجذور التي رسخها فرويد(S.Freud)، ويضفي عليها طابعا علميا انطلاقا من معطيات ألسنية و بنيوية و رياضية لم تكن متيسرة في زمن فرويد.

وقصد تحقيق مبتغاه سعى لاكان(J.Lacan) إلى إحداث قطيعة مع القراءة الحرفية/Lecture littérale لنُصوص فرويد وهي القراءة التي قدمها اتباعه وتلاميذه، أو من يعرفون بأنصار سيكولوجيا الأنا(Ego psychology)، وهو اتجاه معاصر في التحليل النفسي، أسسه سنة1939 كل من هانز هرتمان(Heinz Hartmann)، إرنست كريس(Ernst Kris)، ردولفلوفينشتاين(Rudolph MauriceLoewenstein). وينطلق هؤلاء من فهم الأنا بوصفها وحدة فاعلة تؤلف الفرد وتصوغ تصوره الكلّي عن نفسه. و الهدف الأساس للعلاج عندهم هو تقوية آليات الدّفاع النَّفسية الّتي تتوسط العلاقة بين الأنا والهو.إنّ هؤلاء في نظر لاكان(J.Lacan) لا يقدرون أهمية الكلام الذي يصدر عنهم في عملية التحليل النَّفسي عندما يعالجون أوهام مرضاهم، أو عندما يناقشون علاقة الموضوع الليبيدي.

إنّ هذه القراءة أساءت فهم العمق الفرويدي و جردت التحليل النفسي من فاعليته الانقلابية وسلبته خاصيته الثورية، وجعلته مجرد نظرة ثابتة المعالم والأبعاد،وا إلى ظهور نزعات موازية للفرويدية من قبيل الفرويدية ــ الجديدة Neo–freudisme وهي مدرسة من مدارس علم النَّفس المعاصرة من أعلامها: إريك فروم Erich Fromm(1900ـ1980)، وكارن هورنيKaren Horney (1885 ـ 1952) وهاري ستاك سوليفان Harry Stack Sullivan (1892ـ1945). ولن يتأتى تصحيح هذا الوضع أي الرجوع إلى أصل التحليل النفسي إلا بالاحتكام إلى خبرة فرويد بوصفها الخبرة الأَساسية و النَّموذج المثالي، لكل من أراد مزاولة مهنة التحليل النَّفسي.

ولأنّ القراءة الحرفية لا يمكنها النَّفاذ إلى عمق المتن الفرويدي فلابد من القيام بما يمكن وصفه بـ« القراءة التشخيصية/SymptomaleLecture » حسب مصطلح الفيلسوف الفرنسي المعاصر لوي ألتوسير Louis Althusser (1918 ـ1990). وتتميز القراءة التشخيصية عن نظيرتها(القراءة الحرفية) بأنها قراءة فلسفية نقدية (إبستيمولوجية)متشككة؛ تَتهِمُ المباشر وترفض البديهيات، إنّها قراءة تنحو إلى تتبع ما في الخطاب من فجوات و

بياضات و أماكن يظهر فيها خطاب الصمت Discours du silence على حد قول ألتوسير. إنّها قراءة تبحث في لا وعي الخطاب لا لشيء إلا لأنه لا توجد قراءة بريئة.(Louis, 1973, p. 106)

والقراءة التشخصية التي ارتضاها لاكان(Lacan.J) تقوم على تصحيح بعض الأَجزاء في أعمال فرويد بالاستعانة بأجزاء أخرى تمثل النَّص النُّموذج أو البنية الأساسية لقراءة فرويد(S.Freud)على نحوٍ صحيح و قد يكون هذا النَّص النُّموذج هو كتاب (تفسير الأحلام). والاكتشاف الذي يضعه لاكان في المركز من منجزات فرويد ويستعمله بوصفه وسيلته الفكرية الأساسية لتصحيح فرويد من الداخل، هو اللاَّوعي باعتباره لغة تملك بنية خاصة.

وبناء على ذلك تكون تلك العودة هي الرجوع إلى ذلك الحقل المهمل أو الذي أسيئ فهمه، ألا وهو حقل القول/اللغة لأنَّ جوهر التحليل النَّفسي هو اللغة. لقد طرح هذا الأخير منذ بواكيره الأولى علاقة قوية مع اللغة بدا ذلك في كتابه(إسهام في مفهوم الحبسات اللغوية) وبحسبه كلما كان اللاوعي معنيا مباشرة كلما ارتفعت نسبة التحليل اللُغو ي هو الأمر في كتابه(تفسير الأحلام)، وفي هذا يقول لاكان(Lacan.J):«افتحوا أيّ صفحة من صفحات الكتاب حول الأحلام، الصفحة التي تفتحون عليها أولا، فلن تجدوا فيها إلا حديثا عن شؤون الكلمات. تجدون فرويد يتحدث عنها حديثا تلحظون من خلاله أنها قد كتبت فيها بالأحرف الكاملة وبالضبط قوانين البنية التي أشاعها السيد سوسير في أنحاء العالم. ومع أنه لم يكن الأول في ذلك لكنّه كان الناقل المتحمس لتشكيل ما ينجز حاليا من الأعمال الراسخة تحت لواء اللّسانيات».(ميشال، 2011، صفحة 188).إنَّ هذا القول يكشف عن اعتقاد راسخ لدى لاكان(Lacan.J) من أن مؤسس اللّسانيات البنيوية دي سوسير لم يكن إلا ناقلا متحمسا وليس مخترعا لقوانين البنية فكل الفضل في ذلك يعود إلى مؤسس التحليل النَّفسي.

وفرويد(S.Freud)نفسه على وعي تام بوجود هذه العلاقة لذلك سعى لتقصي المصدر المشترك للاوعي وللكلام، وبالفعل لمح مظاهر هذا التقارب في عدد من دراسات لغويِّي عصره، ومنهم هانس سبيربر Hans Sperber المختص في الفيلولوجيا المقارنة، وعالم المصريات كارل آبيل Carl Abel(ميشال، 2011، صفحة 8)واستخدم فرويد نتائج هذه الدراسات ليوضح العلاقة الموجودة بين صيغ الدلالة في الكلام ومثيلاتها في الحلم، ومنتجات اللاوعي الأخرى، طالما أن الحياة النفسية تنطوي على قسط وفير من الرمزية.

وبالاستناد إلى هذه الحقيقة، ميز فرويد(S.Freud) بين المضمون الظاهر للحلم ويتمثل في أحداث الحلم كما يتذكرها الحالم، والمضمون الكامن الذي يقصد به المعنى الذي يتوصل إليه المحلل وهو يفسر الحلم. وعلى غرار قارئ الكتابات الهيروغليفية الذي يرى العديد من الصور لحيوانات ولأشياء مختلفة، لكن يتبين له أنها استعارات ومجازات استعملت بالتراتب بعد أن فقدت صلتها بالأصل، لكي تستخرج دالا يدخل في إطار المعرفة(فرويد ، 2003، صفحة 11)، يدرك المحلل النَّفسي أنَّ الحلم كناية عن نص نقرأه في شكله الظاهر

ونستأصل منه عن طريق التأويل النّص الباطن فالحلم بهذا المعنى بنية نحوية رمزية لا يمكن الوصول إليه بطريقة مباشرة، بسبب الأقنعة والحواجز التي يخضع لها، وتتمثل في التكثيف النقل الرمزية.

وعلى نحو ما تقدم استطاع فرويد(S.Freud) اكتشاف لغة جديدة هي لغة اللاوعي وانتهى من خلالها إلى أنّ ماهية الإنسان، أصبحت خارج الكوجيتو الديكارتي (أنا أفكر أنا موجود)فالإنسان نَّص ٌ ينبغي فك رموزه.و هذا بالضبط ما أكده لاكان(Lacan.J) فـ« اكتشاف فرويد هو هذا الاكتشاف لحقل التأثيرات هذه، في طبيعة الإنسان الناتجة عن علاقاته مع الرمزي. غض النظر عن النظام الرمزي، يعني الحكم على هذا الاكتشاف بالنسيان». *(Dylan, 1966, p. 204)*أي أن عدم إدراك هذه الحقيقة معناه ضياع جوهر التحليل النفسي بل معناه الابتعاد عن حقيقة الإنسان والتي لا يمكن فهمها من دون الإقرار بأسبقية اللغة على الذات، وهي جواب لاكان عن سؤال أيهما يصنع الآخر: هل الإنسان يصنع اللغة أم أن اللغة هي التي تصنع الإنسان؟ لقد كانت اللغة في علم النفس الكلاسيكي تعبر عن الذات وتمثلها مع لاكان الفرد الإنساني(الطفل) لا يصبح ذاتا إنسانية إلا بعد دخوله النسق الرمزي للثقافة وهو اللغة.

وتكمن ـ بالنّظر إلى ما سبق ــ في نظر مالكوم بوي قيمة مشروع لاكان (J.Lacan)من خلال إعادة قراءة فرويد(S.Freud) في ضوء اللّسانيات المعاصرة قراءة نقدية، مكّنته لا من تجاوز القراءات المبسطة للتحليل النفسي فقط، بل أيضا من تقريب العلاقة بين فرويد و مؤسس اللسانيات البنيوية(دي سوسير) بما يتيح لكل منهما أن يعاد النّظر فيه في ضوء أفكار الآخر(ستروك، 1966، صفحة 149).إنّ ادراك مثل هذه العلاقة هو موطن من مواطن الجدة في المشروع اللاكاني.

غير أن ما تجدر الإشارة إليه أن ميشال أريفيه(Michel Arrivé) ـ في رأي مخالف ـ يذكر أن دراسة لاكان(Lacan.J) لـ فرويد(S.Freud) عبر اللسانيات السوسيرية، لم تكن الأولى من نوعها، خاصة صيغته الشهيرة: «اللاّشعور منتظم بنيويا على هيأة لغة». فتلك الصيغة تجد رافدا يرفدها في كتاب غير معروف لعالمي القواعد الفرنسّيين جاك داموريت(Jacques Damourette)وإدوارد بيشون(Édourrad Pichon). لقد كانا وأّل من جمع بين السّمتين؛ اللسانيات والتحليل النفسي، ففي نظرهما «الكلام هو مرآة بديعة لأعماق اللاوعي» وأن «البنى القواعدية للُّغة ما تغوص في قسم كبير منها في اللاوعي». وقد استعار منهما لاكان عددا من المفاهيم لبناء نظريته في اللاوعي. (ميشال، 2011، صفحة 8،9)

3. منجزات القراءة اللاكانية للتحليل النفسي الفرويدي.

1.3 السجلات الثلاث وبنية الذات عند فرويد .أهم منجز لـ جاك لاكان(Lacan.J) من خلال قراءة فرويد(S.Freud) قراءة تشخيصية هو مقابلة الثالوث الفرويدي: الأنا، الهو، الأنا الأعلى بالثالوث اللاكاني أو ما يعرف بالسجلات أو الأنظمة الثلاث: النظام الخيالي(l'imaginaire)، النظام الرمزي(le symbolique)، النظام

الواقعي(Le Réel)(كاترين، 2004، صفحة 25)، وهذا المثلث يقع في القلب من التفكير اللاكاني وهو يسلط ضوء بالغ الأهمية على أعمال فرويد، أو على حد تعبير لاكان(Lacan.J) « إذا لم نعمل على ضوء هذه المنظومة الثلاثية فسيكون من المتعذر علينا فهم شيء ما من تقنية وتجربة فرويد».(Dylan, 1966, p. 135) وهذه السجلات الثلاثة فصلها لاكان(Lacan.J) منذ بداية تنظيره لعلاقة الإنسان مع نفسه، مع الآخر، ومع العالم.

أوّل هذه الأنظمة أو السجلات، هو النِّظام الخيالي، ولقد استخدم لاكان(Lacan.J) المصطلح خيالي منذ البداية (1936)للدلالة على الوهم و الافتتان والغواية، وارتبط بشكل محدد بالعلاقة الثنائية بين الأنا والصورة المنعكسة(المرآوية)ومع أنّ الخياليّ يرتبط بالوَّهم والغواية ويحيل إليهما، إلا أنه ليس مرادفًا للوَّهم، حيث يكون هذا الأخير متضمنا شيئا غير منطقي فالخيالي بعيدٌ كل البعد عن اللامنطق، ولا نستطيع ببساطة الاستغناء عنه، حيث تظهر تأثيراته الفعالة في الواقع. لكن الخيالي وفي تطور لاحق وتحديدا منذ (1953) أصبح واحدا من الأنظمة الثلاثة متخذا موقعه في مواجهة الواقعي والرمزي، ومن خلاله تتشكل بنية الذات حيث تبدأ الحياة النفسية بالمستوى الخيالي(Dylan, 1966, p. 84)

ويستخدم لاكان(Lacan.J) مفهوم الخيالي للدلالة على صورة الأنا لدى الطفل في لحظة متخيلة يسميها مرحلة المرآةLe Stade du Miroir.ولقد قدم هذا المفهوم من خلال مداخلتين: المداخلة الأولى كانت في المؤتمر الدُّولي الرابع عشر للتحليل النفسي بـ « مربيناد Marienbad» عام 1936، تحت عنوان: «مرحلة المرآة»، ثم قدمه كمداخلة إلى المؤتمر الدُّولي السادس عشر للتحليل النفسي بـ « زيوريخ Zürich » عام 1949 تحت عنوان: «مرحلة المرآة باعتبارها مشكلة لوظيفة الأنا».

وما تجدر الإشارة إليه أن «اختبار المرآة» قد تمَّ وصفه من طرف عالم النفس، وصديق لاكان(Lacan.J) الفرنسي: هنري فالون Henri Wallon (1879 ‡ 1962)أوّل مرة عام 1931. ويتصل الاختبار بتجربة مُحددة تُظهِر الفرق بين الوليد الإنساني والحيوان الأكثر قرابة منه وهو الشمبانزي. يختلف الطفل ابن الستة أشهر عن الشمبانزي من الجيل نفسه، بأن الأوّل يغدو مفتتنًا بانعكاس صورتهفي المرآة ليتبناها فَرِحًا بها على أنها صورته هو، في حين أن صغير الشمبانزي سرعان ما يتحقق من وهمية الصورة في تركها جانبا فاقدا اهتمامه بها.

وبناء عليه فإن الذات البشرية لا تظهر إلى حيز الوجود إلا بعد أن تكتسب وعيا ذاتيا وهو ما يحدث في هذه المرحلة. و مِثل فرويد، لا يبدأ الطفل عند لاكان منفصلا عن أمه، فلا تمييز بين الذات والآخرين عنده، ولا تمييز بين الطفل وأمه، فهو يأتي إلى العالم بلا أنا، بلا معنى للذات منفصل عن الآخر(أمه). لكن، خلافاـ فرويد الذي يؤكد«بأنَّ الأنا هو أولا و بالذات أنا بدني»(فرويد س.، 1982، صفحة 44)، يرى لاكان(Lacan.J)أن الصورة الكلية للبدن ليست معطى أوّلي، فالمعطى الأوّلي هو الصورة الممزقة للبدن المنشطر، فالطفل يشبه كتلة ليس لديها أي تصور لجسدها على أنه كل موحد متماسك، بل هو الجسد المجزأ(morcelécorps). وهي الحالة

التي يكون عليها الطفل قبل أن يمر بخبرة المرآة التي تجمع أجزاء البدن الممزق في صورة كلية لتنقل الطفل إلى الشعور بالوحدة الكلية.

والحديث عن طور المرآة هو حديث أحد أهم اسهامات جاك لاكان(Lacan.J) في النظرية التحليلية، إذ يعد هذا الاكتشاف بداية لقاء جاك لاكان(Lacan.J)مع البنيوية. وبمقتضى هذا الاكتشاف قام بتقويض جذري لكل فلسفة تنبثق مباشرة من الكوجيتو، وتقديمه صورة جديدة للصيغة الديكارتية «أنا أفكر إذن أنا موجود» حيث يذكر لاكان(Lacan.J) في صيغة مستحدثة ومناقضة « أنا أفكر حيث لا أوجد، إذن إنني موجود حيث لا أفكر». «Je pense où je ne suis pas, donc je suis où je ne pense pas»(Lacan, 1966, p. 509)وانتهى إلى هذا من خلال نظريته عن مرحلة المرآة بوصفها تشكيلا جديدا للأنا بعيدا عن الوعي. ومفهوم المرآة لدى لاكان(Lacan.J)هو أبعد من أنْ يكون مجرد اختبار، أو اكتشاف سريري إنّها بُنية ثابتة للذاتية وحيثية مُؤسِّسة لها. وهي ليست لحظة زمنية عابرة في حياة الطفل بل إنها أنموذج النظام الخياليّ، وهي تشير إلى نقطة تحول حاسمة في التطور النفسيّ للطفل ولها قيمة مضاعفة؛ فهي تمثل مرحلة تصورية بحتة، يسيطر عليها الخيال قبل أن تصبح نقطة انطلاق لتكوين الأنا، وينتج عن الصورة المرآوية عن تلك المرحلة عمليتان أساسيتان وهما: ادراك الطفل لوجوده ككائن يتحدد بالنسبة للآخر، وبداية عملية التعيين الذاتي بالآخر(عدنان، 2004، صفحة 70،71). واستطاع لاكان(Lacan.J) من خلال هذه المرحلة أن يفسر كيف ولماذا لا توجد الأنا منذ البداية؟ وما الفرق بين الأنا والذات؟ إن الانتقال الذي يقع في هذه المرحلة انتقال أساسي: فهو يضمن للذات صورة كاملة عن نفسها ويضع الأنا كهيأة نفسية لكنه يضعها ـ بتعبير لاكان(Lacan.J) ـ في خط الوهم.(كاترين، 2004، صفحة 113). إن الأنا كوهم (Fiction) ينتج عن التواجه القائم في المرآة بين الذات والمسافة التي تفصلها عن صورتها.

ومما هو مؤكد أن لاكان(Lacan.J) استخدم مفهوم الخيالي لشرح وتطوير الصيغة الفرويدية في الحوافز، حيث يوجه الخيالي تجاه الشكل عنه إلى المضمون، فالخيالي يمارس قوة الأسر على الذات من خلال تأثير الصورة المرآوية، ويمثل النسيج الخيالي للمرآة أول سبيل لتوظيف الطاقة الليبيدية التي ستؤثر في كل التخيلات اللاحقة. ويغدو على هذا النَّحو البعد الخيالي بوجه عام بعدا نفتقد فيه أي مركز محدد وتتبادل فيه الذات الموضع مع الموضوعات تبادلا منغلقا على نفسه لا يكف عن الحركة، في مجال من الصور التي لا تنفصل فيها الأطراف الانفصال الحاد.(كرزويل، 1985، صفحة 390).

أما ثاني الأنظمة أو السجلات التي تحدث عنها لاكان(Lacan.J)، فهو النِّظام الرمزي(البنيوي) إذ يضطلع بالدّور الحاسم في التحليل النفسي، لذلك ينتقد لاكان التحليل النفسي المعاصر له لأنّه يتجاهل النظام الرمزي ويختزل جميع الأمور إلى الخيالي. ومن وجهة نظر جاك لاكان(Lacan.J) ليس هذا سوى خيانة

لاكتشافات فرويد الأكثر جذرية. ويتجلى عبر النظام الرمزي الاختلاف بين كل من لاكان(Lacan.J) و فرويد (S.Freud) في موضعة حافز الموت وطبيعته؛ ففي حين اعتبر فرويد حافز الموت مرتبطا بالبيولوجيا(الطبيعة)، ارتأى لاكان أن حافز الموت ينتمي للنظام الرمزي(الثقافة)وهو المُشَكّل لهو« يتجلى الرمز أولا كقتل للشيء ويمثل هذا الموت بالنسبة إلى الذات تخليدا لرغبتها».(كاترين، 2004، صفحة 62). ولأن الرمز مكافئ لموت الشيء فهو يقوم مقام الشيء المرموز له، فإن اللغة فيما يرى لاكان(Lacan.J) تتحدث عما هو مفقود أو غائب، فنحن نحتاج إلى الكلمات عندما تكون الأشياء التي نريدها غائبة، ولو كان عالمنا ممتلئا بلا غياب فيه فنحن لا نحتاج إلى اللغة.

وبالتوافق مع ما سبق، يخطئ من يتصور أن النظام الرمزي هو من صنع الإنسان أو تشكيله فـ« الإنسان يتكلم لأن الرمز قد جعل منه إنسانا/ L'homme parle donc, mais c'est parce que le symbole l'a fait homme»(Lacan, 1966, p. 276) ومعنى هذا أن الإنسان مجرد نتاج لهذا النظام الرمزي والوظيفة الرمزية هي العلة الكافية التي تحدد كلَّ وجوده، فهي البنية القصوى التي تتحكم في كل أنشطته. وهو ما انتهى إليه لاكان من خلال دراسة حالة ظهرت في كتاب فرويد (ما وراء مبدأ اللذة) إذ تحدث فرويد عن ابن أخته البالغ من العمر ثمانية عشر شهرا، والذي يلعب بكرة من الخيوط مربوطة بغزل من الصوف، إنَّ الطفل يلقي الكرة بعيدا، ويقول " راحت Fort "، تعود الكرة إليه مرة أخرى فيقول "جاءت da". لقد شخص فرويد حالة الطفل على أنها عصاب قهري تكراري، ومن جانبه حاول لاكان أن يبين الدور الذي يلعبه الرمز في قصة هذا الصبي، فمن الواضح أن لعبة (Fort / da) لم تكن سوى محاولة رمزية للسيطرة على الموقف(غياب الأم و حضورها) عن طريق تمثله وبالموازاة دخول الطفل العالم الرمزي، أو دخوله إلى بنية اللغة نفسها.(زكريا، 1976، صفحة 282).

ورغم أن اللُّغة تقوم بالدور الفصل في النّظام الرمزي إلا أن لاكان(Lacan.J) لم يجعلها مكافئة لهذا النظام بشكل مطلق؛ فاللغة تشتمل على بُعدّي الخيالي والواقعي بالإضافة إلى البعد الرمزي، وهو الدال والكلام المليء الصحيح بينما البعد الخيالي هو المدلول و الكلام الفارغ.

كما يختلف مفهوم الرمزي عند لاكان(Lacan.J) عن مفهوم الرمزية عند فرويد، فالمفهوم عند فرويد تختلط فيه العلاقة بين الشكل و المعنى في حين أن المفهوم عند لاكان تغيب فيه أية علاقات يختلط فيها الدال بالمدلول(Dylan, 1966, p. 203.204)، فيه يتم الانتقال من النِّظام الخيالي الّذي تسيطر عليه الصورة إلى مستوى استخدام الكلمات (الرمز) الذي تسيطر عليه اللُّغة.

لكن هذا الانتقال ليس انتقالا تسلسليا وتدريجيا من الخيالي إلى الرمزي؛ فهما مجالان غريبان كلية الواحد عن الآخر، ففي الوقت الذي يتميّز فيه الخيالي بالعلاقات الثنائية فإنّ النظام الرمزي يتميز بالبُنى الثلاثية(كاترين، 2004، صفحة 27،27)، فهناك مفهوما ثالثا يتوسّط في العلاقات البينُ ـ ذاتية هو الـ الآخر

الكبير. والانتقال من البنية الثنائية إلى البنية الثلاثية ليست إلا نقلة من الخيالي إلى الرمزي. وتعد عقدة أوديب هي البنية الثلاثية الأنموذج منذ دخول الأب في علاقة بين الأم والطفل ومن خلاله تُبنى الذات عبر الرمز ويتم الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة.

وثالث الأنظمة فهو النظام الواقعي، ولا يضع جاك لاكان(Lacan.J) الواقعي منذ (1953) مقابل الخيالي فقط، بل ويضعه في ما عبر الرمزي، فليس كما الرمزي المبني بمفاهيم الأضداد كالتناقض بين الوجود والعدم، وفيما يكون الرمزي مجموعة من العناصر المتمايزة والمتفردة والمدعوة دوال، فإنّ الواقعي في حدّ ذاته فاقد للتمايزات؛ لا يوجد في الواقعي غياب أو فقد أو نقص، إنّ الواقعي ممتلئ تماما وكامل حيث لا توجد فيه حاجة لا يمكن إشباعها. وما دام الأمر كذلك فالواقعي خلو من اللُّغة، إنَّه يُقاوم الترميز بشكل مطلق فمجاله قائم خارج الترميز(Dylan, 1966, p. 163).

وعلى الرغم من أنّ هذه الأنظمة تختلف اختلافا جوهريا فيما بينها؛ إذ يحيل كل واحد منها إلى مظهر من مظاهر تجربة التحليل النفسي مختلف جذريا، ممّا يجعل من الصعب رؤية المشترك بينها، مع هذا يتعامل جاك لاكان معها كثلاثة أنظمة تُشير إلى وجود صفة مشتركة ما. ويقوم جاك لاكان بالبحث عن إجابة هذا السؤال (ما المشترك بين الأنظمة الثلاثة؟) بواسطة طوبولوجيا العقدة البرومينيةNœud borroméen : أدخلها لاكان في دراساته سنة 1972 وهي كناية عن عقدة مؤلفة من ثلاث حلقات: منعقدة فيما بينها، بحيث إذا قطعت إحدى العقد تحرر الثلاث في آن واحد(عبد الله، 2001، صفحة 122).فكلّ نظام يعرف ضمن نطاق العلاقة التي يُقيمها مع كلا النظامين الآخرين كما هو مبين في: الشكل(1) أسفله.

الشكل(1) العقدة البرومينية و تكامل الأنظمة

هذه هي البنية المُشَكِلة للذات عند لاكان(Lacan.J) ، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل هذه البنية تقع على الطرف النقيض، مع نظام فرويد (الأنا، الهو، الأنا الأعلى) ؟ نجد جواب هذا السؤال عند الفيلسوفة، والروائية الفرنسية كاترين كليمان(Catherine Clément)(1937 ؟) فـ(الأنا الأعلى) يصبح هو الرمزي (Le symbolique) مجال النظام و القانون، ومكان الخطاب الأبوي. و(الأنا) يصبح هو المتخيل (L'imaginaire)،

مكان الوهم والحقيقة، والتغير. و(الهو) ليس له مكان إلا مجازا فهو المكان الذي ليس له مكان، وهو العلة الغائبة للبنية، ويطلق عليه لاكان اسم الواقعي (Le réel)وإنتاجه يقع على مستوى موضوعات الرغبة(كاترين، 2004، صفحة 113،114).

يقودنا كل هذا إلى النتيجة الآتية: صحيح أن البنية اللاكانية(الأنظمة الثلاث)، ليست إلا تطويرا للبنية الفرويدية(الأنا، الهو، الأنا الأعلى) في إطار التحليل الألسني البنيوي، بما يتفق والفكرة القائلة أن التحليل النفسي الفرويدي مجاله القول والخطاب، لكنه تطوير حامل للجديد المختلف، ما يعني وجود أوجه اختلاف بينهما. وسنكتفي ـ هنا ـ بإبراز هذا الاختلاف على مستوى ثلاثية لاكان(Lacan.J): الأنا والذات و الآخر و على مستوى عقدة أوديب، بالنَّظر إلى العلاقة المباشرة لهذه المفاهيم بما سبق تحليله.

و يمثل مفهوم الأنا في الخطاب اللاكاني، نتاجا عيانيا للتوحدات الخيالية المتتابعة التي علقت في الذهن كقاعدة راسخة، فبنيته خيالية، حيث تتشكل عبر النظرة والصورة، يقول لاكان:« بأن الأنا التي طالما تكلمنا عليها، من المستحيل فصلها عن الارتهانات الخيالية التي تكونها من الرأس إلى القدم، سواء في نشوؤها، أو في وضعيتها، أو حتى في وظيفتها الحاضرة، لأنها تنطلق من آخر لأجل آخر».(عدنان، 2004، صفحة 164). ومن المعروف أن لاكان قد اتخذ موقفا متطرفا من الأنا الفرويدي؛ ففي حين أعطى فرويد للأنا وظيفة هامة تتمثّل في التفاوض مع الواقع الخارجي، فإنّ لاكان نظر إلى الأنا بوصفه نتاجا لسوء التعرفMéconnaissance.

أما الذات Sujet فلا توازي الشعور الواعي، الذي ليس سوى وهم ينشئه الأنا، بل هي موازية للاوعيفذات لاكان هي ذات اللاّوعي(Evans.D,1966:198)، وميلادها من اللُّغة(عدنان، 2004، صفحة 160). وعلى هذا فالذات عند لاكان(Lacan.J)ليست معطا أوّليا، إنّ المعطى الأوّلي هو الآخر الكبير، ومن هنا يطرح السؤال: كيف تتكون الذات لتحل محل الآخر الذي يسبقها في الوجود؟ يقدم لاكان(Lacan.J) إجابات كثيرة منها، أولا: إن التجربة التحليلية تشكل العملية التي يتحقق بها وجود الذات التي تكون في البدء غير موجودة تحت وطأة الدال، ثانيا: إن أي تشكل للاشعور يشهد على ميلاد ذات اللاشعور وبروزها في الوقت الذي يعمل فيه على محوها ثالثا: إن الذات هي ما يصدر عن الإنسان بفعل اللغة(ميللر، 1982/1983، صفحة 81) بالمحصلة الذات من حيث بنيتها تنتمي إلى النظام الرمزي وهي تُحدد من خلال الآخر/ الآخر الكبير.

ويتحدد مفهوم الآخر في التحليل النفسي على أنّه كل ما هو خارج الذات. ولقد ميز لاكان(Lacan.J) بين الآخر الصغيرpetit autrele و الآخر الكبير le grand Autre ، حيث يشير الأول إلى الآخر المرآوي ويلتقي مع المفهوم اللاكاني وهو موضوع الرغبة. أما الآخر الكبير(Autre) عند جاك لاكان فيدل على النِّظام الرمزي الذي يحدد الذات؛ إذ هي تتكون من خلال عبورها إلى العالم الرمزي بواسطة اللغة باعتبارها ما يميز الكائن الإنساني، أي الكائن المتكلم parlêtrele حسب المصطلح اللاكاني. و كما يتردد كثيرا عبر صفحات

كتاب لاكان أن الآخر الكبير هو مكان الكلام(L'Autre lieu de la parole)(Lacan, 1966, p. 627) ومن ذلك أيضا أنه مكانالدال، ومكان نقصان الوجود.

وبشكل عام، الغيرية كما بينت كاترين كليمان(Catherine Clément) تظهر في النَّسق اللاكاني حرة « طليقة من أي أقنوم، إلهيا، كان أو بشريا»، إنها بمثابة المكان الغريب الذي يصدر عنه كل خطاب: مكان العائلة، القانون كالأب ضمن النظرية الفرويدية، مكان التاريخ مكان ترد إليه كل ذاتية(كاترين، 2004، صفحة 112). يعني هذا أن الخطاب الذي تجد فيه الذاتية نفسها فيه هو دائما خطاب الآخر.

ولا يستقيم الحديث في التحليل النفسي دون الحديث عن عقدة أوديب، فهي المحور الذي يدور حوله كل تحليل نفسي« فمن هذه العقدة تتفرع الأعراض العصابية، ومن حلها تبدأ الحياة السوية».(عدنان، 2004، صفحة 102) لاكان(Lacan.J)منطلقا من فرويد(S.Freud)، ومخالفا له قدم تحليلا وقراءة لهذه العقدة. فما هو مضمون القراءة التي قدمها؟ و ما وجه الاختلاف بين التحليل اللاكاني والتحليل الفرويدي لها؟

تدخل عقدة أوديب في إطار نظرية فرويد(S.Freud)النفسجنسية؛ إذ تحدث فرويد عن ثلاث مراحل يمر بها الأطفال: المرحلة الفمية، ثم المرحلة الشرجية، ثم المرحلة القضيبية، ثم تحدث عن عقدة أوديب وعقدة الخصاء التي يبدأ بعدها الطفل في البلوغ. وفي إطار قراءته لما قدمه فرويد(S.Freud)، استطاع لاكان(Lacan.J)إعادة صياغة العقدة الأوديبية صياغة تجاوز من خلالها التحليل الفرويدي، صحيح أن لاكان(Lacan.J) مثل فرويد (S.Freud)ينفي أن تكون عقدة أوديب أسطورة أو هواما، إذ هي حجر الزاوية عند كليهما، لكن الصياغة اللاكانية لهذه العقدة جاءت على نحو يتجاوز الفروق الجنسية بين الصبي و الصبيةحين يؤكد لاكان(Lacan.J)أن القضيبle phallus هو الدال الأساسي للاشعور، فهو لا يمثل مجرد واقعة جنسية هي بمثابة تحديد تجريبي لأحد الجنسين، بل هو عبارة عن العضو الرمزي الذي يؤسس الجنسية بأسرها من حيث هو نسق وبنية، تتحكم في وجود كل من الرجل والمر أة على حد سواء.(عدنان، 2004، صفحة 102). لكن هذا الأمر وهو لا يخلو من مساواة بين الرجل والمرأة يبقي من منظور الحركة الفّوية مكرسا لمركز ية الرجل.

وحتَّى يؤكد حقيقة ما توصل إليه أوضح لاكان(Lacan.J) أن المراحل المتنوعة التي قام فرويد بتحليلها (الفمية، الشرجية، القضيبية)، لا تعتبر ظواهر بيولوجية تنمو بشكل طبيعي مثل مراحل النمو النفسي الحركي ولكنها تعتبر بشكل واضح بنى أكثر تعقيدا.إنَّ المراحل القبتناسلية ليست لحظات مرتبة ترتيبا زمنيا في نمو الطفل ولكنها بشكل أساسي بنى غير زمنية(Lacan, 1966, p. 604). وفي المقابل ـ وتحت تأثير فلسفة هيجل ـ قدم لاكان تصنيفات مختلفة ليشرح مسار الطفل إلى البلوغ؛ لقد أوضح ثلاثة مفاهيم: الحاجة Besoin والطلب Demande والرغبة Désir التي تناسب تماما ثلاث حقول يتطور داخلها البشر: الخيالي، الرمزي،

والواقعي.(زكريا، 1976، صفحة 176). ويبدو من خلال هذه المفاهيم أن لاكان(Lacan.J) قد خرج من الإطار الفرويدي، ليقدم لنا تحليلا لذات كونية ليس لها موقع في التاريخ.

2.3 اللاَّوعي كبنية لغوية

طور لاكان(Lacan.J) التحليل النَّفسي إلى أبعاد غير مسبوقة، وقدم معادلة جديدة للعلاقة بين اللُّغة والذات ـ وهي كما مر معنا ـ معادلة أصبحت بموجبها الذات ممكنة فقط داخل اللغة(النظام الرمزي)، بعد أن كانت اللغة في علم النفس الكلاسيكي تعبر عن الذات وتمثلها فالفرد الإنساني بالنسبة إلى لاكان(Lacan.J) يصبح ذاتا إنسانية بعد دخوله إلى النسق الرمزي للثقافة وهو اللغة.وإضافة إلى هذا، يوجد بعد آخر يشكل محور النظرية اللاكانية ومبدأها، هو محور اللاوعي الفرويدي، الذي يعده لاكان حدثا جديدا أحدث انقلابا في مفاهيم ومنهجية الفكر الإنساني وأعاد النظر في كثير من المعتقدات السائدة فلسفية كانت أو علمية حتَّى أنَّ فرويد نفسه يعترف بذلك في العديد من المرات.

ولئن انطلق جاك لاكان(Lacan.J)في التأسيس لنظريته اللُّغوية من نظرية فرويد، فإنَّ هدفه لم يكن إعادة اكتشاف التحليل النَّفسي من جديد، بل على العكس من ذلك أقام تعليمه في البداية تحت شعار« العودة إلى فرويد»؛ و اكتفى بأن يتساءل: ما هي الشروط التي يكون فيها قيام التحليل النفسي ممكنا؟ فأجاب: الشرط اللاَّزم والكافي لإمكانية التحليل النَّفسي هو أن يشكل اللاشعور بنية مثل اللغة. ويتحدى جاك لاكان معارضيه بأن يعودوا إلى قراءة كتب فرويد وخاصة كتابه تفسير الأحلام، فمن أوَّل الكتاب إلى آخره حاول فرويد(S.Freud) البرهان على أن اللاَّوعي هو بنية لغوية في حد ذاتها، لها تركيبة شبهة بتركيبة اللغة(عدنان، 2004، صفحة 56)، وليس مستودعا للغرائز كما يعتقد تلاميذ فرويد وغيرهم من المحللين النفسيين، الذين أساءوا فهم ما قدمه فرويد، ولم يدركوا المغزى الذي أعطاه للاَّوعي.

وإذ يقطع المفهوم اللاكاني للاَّوعي الفرويدي الصلة تماما مع نظرة تلاميذ فرويد(S.Freud) فإنه يقدم مقاربة عن اللاّشعور على هذا النّحو: «اللاّشعور منتظم بنيويا على هيأة لغة»« l'inconscient est structuré comme un langage ». (Lacan, 1966, p. 868) وأن«اللاشعور هو خطاب الآخر» « L’inconscient c’est le discours de l’Autre»(Lacan, 1966, p. 16). وعلى هذا يكون أهم ما اكتشفه فرويد في نظر جاك لاكان(Lacan.J)ليس هو أنَّ اللاَّوعي موجود ــ فهذا أمر واضح ـ بل هو أن اللاَّوعي قد بُنين مثل اللغة،وهذا يعني أن في الإمكان التعبير عن آليات اللاشعور عن طريق بعض العمليات اللُّغوية، أو بعض الأشكال البلاغية كما يظهر بوضوح من خلال عملية تكوين الأعراض العصابية. لكن دلالة تلك العبارة لا يمكن أن تتكشف بوضوح، وعلى نحو تام، إلا إذا ألحقناها بتلك الصيغة التي مضمونها: «إنَّ من شأن اللاشعور أن يؤدي عمله الوظيفي على نحو ما تؤديه اللغة بما لها من طابع بنيوي ذلك أنَّه لا سبيل إلى تعقل اللاشعور إلاَّ بتحويله إلى بنيوية لغوية».(زكريا، 1976، صفحة 174).

وبهذا الطرح يخالف جاك لاكان (Lacan.J)ما هو سائد ومتداول بشأن اللغة؛ إنَّ ما هو سائد أنَّ اللغة هي الوسيلة التي يتم عبرها التعرف على اللاَّوعي بدليل أن المحلل النفساني يستند إلى ملفوظ المريض لمعرفة أحلامه وهواجسه وأوهامه، غير أن أطروحة لاكان (Lacan.J) تبدو مفارقة و مخالفة؛ فهو يرى أن الطابع الذي يَسم كلاّ من اللغة واللاشعور وهو الطابع البنيوي، ولأجل ذلك طابق بين مفهومي اللغة واللاشعور عند الإنسان فجوهر اللغة لاشعوري و اللغة تشكل منطق اللاشعور وماهيته.

وقد أسس لاكان(Lacan.J) لهذه الفكرة، من خلال تفسير فرويد للآليتين الرئيسيتين في عمليات اللاَّوعي: التكثيفCondensation و الازاحة(الإحلال) Déplacementوكلتهما ظاهرة لغوية.إنَّ عملية التكثيف التي تتمثل في استبدال دلالة بأخرى، تقارب عملية المجازات الأدبية التي تأخذ اتجاها واضحا في الصياغات الأدبية، والتي يتم من خلالها تحويل دلالة خاصة غير مناسبة لاسم ما إلى دلالة أخرى وذلك من خلال المقارنة التي تجري داخل النفس(زكريا، 1976، صفحة 172). فاللاشعور كما يريد جاك لاكان(Lacan.J) أن يقول يؤدي عمله وكأنه لغة فهو الذي يتكلم داخل الإنسان.

إنَّ لُغة اللاشعور هي بالضبط لغة الحرف أو لغة الدَّال و لأجل ذلك ـ وفيما ترى ملكوم بوي ــ يمكن النَّظر إلى العلاقة بين اللغة واللاشعور من جهتين: فمن الممكن أولا، أن تكون التوترات والصراعات النفسية قد أسهمت . يتحدث المريض عن أحلامه وأوهامه ويقاطعه المحلل ويضع تصوراته حول ذلك الحديث فإنَّ ذلك اللاشعور لا يتبدى لهما إلاَّ في شكل واسطته اللغوية. وبالمحصلة ليس اللاوعي الفرويدي، كما ينظر ـ إليه غالبا ـ خزانا للنزوات و مركزا للغرائز إنّه بنية لغوية ويجب أن يقرأ على هذا النَّحو إذا أردنا فهما عميقا وحقيقيا للإنسان.

4. الخاتمة.

وفي الأخير يمكن القول أن ثورة فرويد في نظر لاكان(Lacan.J) كانت جذرية ولكنها عسيرة الفهم وقد آل على نفسه أن يجعل هذا العسر مقروءا وميسورا للفهم، لكن هل كان لاكان(Lacan.J) النسخة الفرويدية الميسورة الفهم؟ وهل كان فرويديا حقا؟ وهل يمكن الحديث عن اللاكانية، كما تحدث لاكان عن الفرويدية؟

صحيح أن لاكان(Lacan.J) قارئ لفرويد، لكن والقول لمالكوم بوي« إخلاصه لفرويد يختلف عن إخلاص أفلوطين لأفلاطون، أو إخلاص ابن ميمون لأرسطو. و فرويد (S.Freud) يطمئنه بأن كل تفكير هو تفكير مغاير: فليس ثمة من ثبات و لا وقوف ولا نظام أعلى للأفكار».(ستروك، 1966، صفحة 175).

وبالفعل لم تكن هذه القراءة بريئة أو حرفية؛ ومن ذلك أن لاكان(Lacan.J) عمق نظرية فرويد عن اللاوعي باعتباره لغة، وذلك بالاعتماد على معطيات التحليل اللساني البنيوي. لقد حاول جاك لاكان أن يعلقن

أطروحة فرويد، بأخذ عقدة أوديب ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ كصورة مجازية يلعب فيها الأب الرمزي الدور الأساسي بدل الأب الحقيقي(البيولوجي). يضاف إلى هذا اختلاف آخر، حيث يرى فرويد أن الخطاب العقلاني ممكن رغم أن قوى اللاشعور غالبا ما تشوهه، بينما يرى لاكان(Lacan.J) أن الخطاب هو الذي يشكل أو يصوغ اللاشعور.ثم إن الرغبة عند الأوّل، ذات طابع جنسي بينما هي عند الثاني ذات طابع أنطولوجي (وجودي) أي أنها صراع من أجل الكلية والكمال، و هذا تحت التأثير الهيجلي.

ولئن انطلق لاكان(Lacan.J)في التأسيس لنظريته اللُّغوية من نظرية فرويد فإنّ هدفه لم يكن سوى التأكيد على أن فرويد هو أوّل من طرح علاقة التحليل النفسي باللغة؛ فالطابع اللغوي يشكل ماهية التحليل النفسي سواء تعلق الأمر بالذات أو باللاوعي.

وهكذا انتهى لاكان(Lacan.J) إلى تأسيس ما يعرف اليوم في التحليل النفسي باللاكانيةLacanisme التي تؤكد بأن المركز الحقيقي للكائن البشري لم يعد تماما في المجال نفسه الذي كان يُعينه له التقليد الفلسفي ذو النَّزعة الإنسانية، وأننا بدل الإنسان الراغب أصبحنا اليوم أمام الإنسان الرامز حيث اللغة كحقيقة أنطولوجية تسبق الذات، وكأني بـ جاك لاكان يقترب من القول « في البدء كانت الكلمة»، وهنا نتساءل إلى أي مدى ابتعد لاكان(Lacan.J) عن فرويد الذي كان قد صرح ـ نقلا عن الشاعر الألماني غوته ـ بأنه « في البدء كان الفعل»، أي جريمة قتل الأب أو الخطيئة الأصلية؟

المراجع.

ابراهيم زكريا. (1976). *مشكلة البنية*. القاهرة، مصر: دار مصر للطباعة.

إديث كرزويل. (1985). *عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو*. (عصفور جابر، المترجمون) بغداد، العراق: سلسلة آفاق عربية.

أر ّيفيه ميشال. (2011). *اللساني واللاوعي* (الإصدار 1). (محمد خير محمود البقاعي، المترجم) بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديدة.

جان آلان ميللر. (كانون الأول/كانون الثاني, 1982/1983). جاك لاكان بين التحليل النفسي والبنيوية، عبد السلام بن عبد العالي، . ص84/78. *الفكر العربي المعاصر*(23)، الصفحات 84 78.

جون ستروك. (1966). *البنيوية وما بعدها*. (سلسلة عالم المعرفة، المحرر، و عصفور محمد، المترجمون) الكويت، الكويت: لمجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون.

حب الله عدنان. (2004). *التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان*. الجزائر: دار الفارابي.

سيجمند فرويد. (1982). *الأنا والهو* (الإصدار 4). (نجاتي عثمان، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.سيجموند فرويد . (2003). *تفسير الأحلام* (الإصدار 1). (مصطفى صفوان، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الفارابي.

عسكر عبد الله. (2001). *مدخل إلى التحليل النفسي*. القاهرة، مصر.

كليمان كاترين. (2004). *التحليل النفسي* (المجلد 1). (محمد سبيلا، المترجمون) الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة

Dylan, E. (1966). *An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanalysis.* London and New York: Rutledge.

Lacan, J. (1966). *Ecrits.* Paris, France: Editions du Seuil.

Louis, A. (1973). *Lire le Capital* (Vol. 1). Paris, France: Maspero.